University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal
Al-Mağallaẗ al-libiyyaẗ al-'alāmiyyaẗ

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية
ISSN 2518-5845

العدد السابع عشر – 20/ ابريل 2017

أسباب اختيار محمد بن علي السنوسي برقة مركزاً لدعوته

د. السنوسي يونس علي العسكري.

(عضو هيئة تدريس بقسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة طبرق – ليبيا)

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal
Al-Mağallaẗ al-libiyyaẗ al-'alāmiyyaẗ

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية
ISSN 2518-5845

العدد السابع عشر – 20/ ابريل 2017

أسباب اختيار محمد بن علي السنوسي برقة مركزاً لدعوته

الملخص:

تضافرت العديد من العوامل وراء اختيار محمد بن علي السنوسي برقة مركزاً لنشر الدعوة السنوسية إذ بعد ما بدأ محمد بن علي السنوسي بنشر دعوته في الحجاز، وأسس زاوية أبي قبيس، رأى أنه من الضروري أن تنطلق دعوته من مكان أخر لذلك غادر أرض الحجاز، وقرر العودة لبلده الجزائر، ولم يكن محمد بن علي السنوسي يقصد برقة مباشرة، ولم يكن قد وضع في ذهنه اختيارها عند خروجه من الحجاز، ولكنه كان يدرس المواقع خلال رحلته. أن اختيار محمد بن علي السنوسي لبرقة لم يكن بمحض الصدفة وإنما جاء بعد دراسة لمقومات هذا الإقليم، ومميزاته بجميع جوانبها الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية التي استطاع أن يلاحظها خلال زياراته لهذه المنطقة أثناء تنقلاته ما بين الحجاز وبلده الجزائر، وتتبعه لأخبار سكانها، وأحوالهم بعد أن تعذر على محمد بن علي السنوسي البقاء في مصر لنشر دعوته بسبب تعصب شيوخ المالكية واتهامهم له بالكفر، وكذلك صعوبة بقائه بجانب الوهابيين في أرض الحجاز نتيجة لتشدد أفكارهم، فضلاً عن التوتر السياسي، والصراع على السلطة بين الوهابيين والدولة العثمانية في أرض الحجاز من جهة، والتدخلات الأجنبية في مصر، وأطماع الاستعمار الفرنسي في الجزائر، والمغرب العربي من جهة أخرى لذلك حرص ابن السنوسي على اختيار المكان المناسب لنشر دعوته الإصلاحية، محاولاً الابتعاد عن كل ما يمكن أن يعيقه، أو يكون عقبة تحول دون تحقيق الأهداف التي كان يسعى من أجلها فوجد ضالته في إقليم برقة الذي كان يمثل أصلح الأماكن للاستقرار، ونشر الدعوة خلال تلك الفترة لا سيما من الناحية السياسية فلم يكن للسلطات العثمانية سوى سيطرة ضعيفة على الإقليم، ومعظم المناطق الداخلية والريفية فيه لا تزال بعيدة عن سيطرة المدن، فضلاً عن تجانس التركيبات الاجتماعية في برقة، وانعدام أية أفكار دعوية، أو توجهات دينية منافسة فيها، كل هذا مع إمكانية استغلال مقومات برقة الطبيعية، وموقعها الاستراتيجي المميز على طريق القوافل في نشر الدعوة السنوسية.

Abstract

Many of the factors Combined behind the choice of Mohammed bin Ali al-Sanusi of Cyrenaica center for the dissemination Senussi call it after what Mohammed bin Ali al-Sanusi started publishing his call in the Hijaz, and the foundations of the corner of my father Qubais, felt it necessary to start calling from somewhere else so he left the land of Hijaz, and decided to return Algeria for his country, was not Mohammed bin Ali al-Sanusi of Cyrenaica directly intended, had not put in his mind when he came out of the selected Hijaz, but he was studying sites during his trip. That the choice of Mohammed bin Ali al-Sanusi of Cyrenaica was not by chance, but came after the elements of the study of this region, and features all economic aspects, social, and political, which was able to go unnoticed during his visits to the region during his travels between Hijaz and his Algeria, and followed the news of its population, and their condition after Mohammed bin Ali al-Sanusi can not stay in Egypt because of his call to spread intolerance elders Maalikis and accused him of blasphemy, as well as the difficulty of staying next to the Wahhabis in the land of Hijaz. As a result of the stresses their ideas, as well as political tensions, and the power struggle between the Wahhabis and the Ottoman Empire in the land of Hijaz on the one hand, and foreign interference in Egypt, and the ambitions of French colonialism in Algeria and the Maghreb, on the other hand so keen son Sanusi to choose the right place to spread his call for reform, trying to get away from all that can be hampered, or be an obstacle to achieving the goals he sought for it and found wandering in the Cyrenaica region who was representing the fittest places for stability, and the publication of the invitation during that period, especially in political terms it was not to the authorities of the Ottoman. Only weak control over the region, and most of the interior and rural areas which are far from the control of the cities, as well as the homogeneity of the social structures in Cyrenaica, and the lack of any missionary ideas, or competition in which religious orientations , all this with the possibility of exploiting the elements of natural Cyrenaica, and its strategic location featured on road convoys in spreading Senussi invitation.

- **المقدمة:**

هناك عوامل عدة تضافرت لاتخاذ برقة مركزاً للدعوة السنوسية إذ بعد ما بدأ محمد بن علي السنوسي بنشر دعوته في الحجاز، وأسس زاوية أبي قبيس، رأى أن الحجاز، وكذلك مصر من قبلها لا تصلح بأوضاعها السياسية التي سيطرت عليها في تلك الفترة لتكون مركز الانطلاق الرئيسي للحركة.

فقد رأى الشيخ السنوسي ضرورة نشر دعوته من مكان أخر لذلك غادر أرض الحجاز، وقرر العودة لبلده الجزائر، ولم يكن محمد بن علي السنوسي يقصد برقة مباشرة، ولم يكن قد وضع في ذهنه اختيارها عند خروجه من الحجاز، ولكنه كان يدرس المواقع خلال رحلته.

وعندما اضطر للعودة من قابس خوفاً من ملاحقة الفرنسيين وجد انه من المناسب الإقامة في برقة، التي لاحظ صلاحيتها أثناء عبوره لها وهو في طريقه إلى بلده الجزائر من حيث استقرار أحوالها السياسية، وتجانس التركيبات الاجتماعية فيها، وأيضاً من حيث إمكانية استغلال مقوماتها الطبيعية، وموقعها الاستراتيجي في نشر الدعوة السنوسية لذلك أمر إخوانه بتأسيس زاوية البيضاء أولى الزوايا السنوسية في ليبيا، ونقطة الانطلاق الأولى للعمل الدعوي، الإصلاحي السنوسي.

أما عن الأسباب التي كانت وراء اختياري لهذا الموضوع فهي محاولة الإجابة على العديد من التساؤلات التي راودتني خلال اطلاعي، ومتابعتي لتاريخ الحركة السنوسية في ليبيا ومنها على سبيل المثال:

1. لماذا اختص صاحب الدعوة السنوسية ليبيا باختياره دون غيرها من البلدان؟ ولماذا كان اختياره لإقليم برقة دون غيره من أقاليم ليبيا كإقليم فزان مثلاً أو طرابلس ليجعله مركزاً لانطلاق دعوته؟
2. هل كانت هناك دوافع اقتصادية وراء هذا الاختيار؟
3. هل كان اختيار محمد بن علي السنوسي لبرقة كمكان لانطلاق دعوته الإصلاحية بمحض الصدفة؟ أم أنه جاء بعد إطلاع ودراية بمقومات هذا الإقليم ومميزاته؟
4. هل كان للأوضاع السياسية في المنطقة العربية خلال هذه الفترة دور في هذا الاختيار؟

كما أن معظم الدراسات التي تناولت تاريخ السنوسية لم تولي اهتماماً لهذا الموضوع، بل تطرقت إليه بشكل عابر ومختصر، وأحيانا يكون تركيزها على الدوافع السياسية فقط أو الاقتصادية أو الاجتماعية.

أما عن الهدف من دراسة هذا الموضوع فهو أبراز الأسباب، والدوافع التي كانت وراء اختيار محمد بن علي السنوسي لبرقة، وجعلها مقراً لنشر دعوته الإصلاحية، وعرض هذه الأسباب، والدوافع في دراسة تحليلية مستقلة تشمل كل جوانب الموضوع سواء كانت الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو السياسية.

وقد تطلبت هذه الدراسة الاعتماد على المنهج السردي في كتابة المادة العلمية مع التحليل لبعض الأحداث التاريخية من أجل الوصول إلى النتيجة المرجوة من إعداد هذا البحث، والتي نتمناها أن تضيف الجديد عن تاريخ الحركة السنوسية في ليبيا.

- **أسباب اختيار محمد بن علي السنوسي برقة مقراً لنشر دعوته الإصلاحية:**

وقبل الحديث عن أسباب اختيار محمد بن علي السنوسي لبرقة مقراً لنشر دعوته الإصلاحية لابد لنا من التعريف بشكل موجز بهوية الشيخ السنوسي، ونسبه، ومسيرته العلمية حتى يكون للقارئ فكرة ولو كانت موجزة عن أصول صاحب الدعوة وأهم مفاهيمه وأهدافه الإصلاحية.

أذاً هو محمد بن علي السنوسي بن العربي بن محمد بن عبد القادر أبن شهيدة بن حم بن يوسف بن عبد الله بن خطاب بن علي بن يحيى بن راشد أبن أحمد المرابط بن منداس بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن يوسف بن زيان ابن زين العابدين بن يوسف بن حسن بن إدريس بن سعيد بن يعقوب بن داود أبن حمزة بن علي بن عمران بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي.

ولد محمد بن علي السنوسي يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول عام 1202هـ، الموافق الثاني والعشرون من ديسمبر عام 1787م، بضاحية (ميثا) الواقعة على ضفة وادي شلف بمنطقة الواسطة التابعة لبلدة مستغانم في الجزائر.

وقد عرف عن محمد بن علي السنوسي منذ شبابه بالذكاء، والصلاح، والتقوى، والعلم، والمعرفة، فقد نشأ في كنف بيت علم ودين وهو البيت السنوسي حيث أن كل أبنائه منتسبين للعلم، كان والده وجده وأعمامه وأبناء أعمامه ممن حرصوا على تعلم العلم وتعليمه.

ظل محمد بن علي السنوسي يواصل مسيرته العلمية في تلقيه للعلم، على يد مجموعة كبيرة من العلماء الأفاضل سواء كانوا ممن يقيمون في الجزائر[1]، أو من خارجها، ومنهم الشيخ محي الدين بن شهلبة، ومحمد بن أبي زوينة، وعبد القادر بن عمور، ومحمد بن عبد الله، وأحمد ألطبولي الطرابلسي[2]، ومحمد ابن القندوز المستغانمي، ومحمد بن علي بن أبي طالب المازوني، وأبو رأس المعسكري، ومحمد بن عبد القادر بن أبي زوينة، وأبن عجيبية صاحب التفسير العجيب[3].

وكذلك اجتهد ابن السنوسي في دراسة المذاهب الإسلامية، وذلك رغبة منه في العمل على توحيد المسلمين تحت مذهب واحد، والذي في رأيه هو الحل الوحيد للخلاص من حالة الضعف والتدهور التي يعيشونها[4].

كما نجده قد أعطى اهتماماً خاصاً لدراسة التصوف والطرق الصوفية، وذلك لتأثره بالتقاليد الصوفية الواسعة الانتشار في منطقة المغرب العربي، بل انتمى نفسه إلى عدد من الطرائق قبل أن يؤسس طريقته السنوسية[5] التي حملت اسمه، وهذا لا يعني أبداً بأن تعاليم الطريقة السنوسية التي أنشأها محمد بن علي السنوسي هي مجرد جمع بسيط لمبادئ الطرائق القديمة، بل على العكس من ذلك فالسنوسية هي طريقة جديدة لها مبادئها الخاصة التي أخذتها من ظروف الحياة[6].

([1]). شهدت الجزائر خلال تلك المرحلة وكغيرها من الأقطار العربية اهتماما خاصاً بحركة التعليم وبشكل خاص العلوم الدينية الصوفية، حيث أنشأت في مدنها الكبيرة كبجاية، والقيروان، وتلمسان العديد من المدارس والجوامع الكبيرة مثل جامع أبي مدين، وجامع عقبة، والجامع الكبير والتي أصبحت تضاهي غيرها ممن أقيم في مراكش، فقصدها محمد بن علي السنوسي كما قصد مدينة تلمسان ومدرستها الشهيرة التي درس بها أبن خلدون، فجلس إلى علمائها، وتخرج منها وأقام بها حتى مجيء الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830م، وبالرغم من اكتسابه قدراً كبيراً من علوم الدين وغيرها، وقيامه بالوعظ، والإرشاد بين المسلمين كان لمحمد بن علي السنوسي رغبة قوية في الجلوس إلى كبار علماء الدين والشريعة الإسلامية ممن اشتهروا وعلا قدرهم في العالم الإسلامي والأخذ عنهم، فقرر السفر إلى أهم مراكز التعليم والفكر الديني في الشرق إلى مصر والحجاز.

([2]). علي محمد محمد الصلابي، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، ج1، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، 2005م، ص ص21، 22.

([3]). أحمد بك النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، (دم) 1961م، ص387.

([4]). محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، ط1، مركز الدراسات الليبية، أكسفورد، بريطانيا، 2005م، ص44 - 50.

([5]). **الطريقة السنوسية:** تحدث أحمد الشريف السنوسي كثيراً عن هذه الطريقة التي اختارها جده محمد بن علي السنوسي في كتابه "الأنوار القدسية في معالم الطريقة السنوسية فقال عن نسبتها، واسمها: "سألت أستاذنا الأعظم (يقصد عمه المهدي) عن هذه الطريقة لمن تنتسب فقال: إن هذه الطريقة تسمى بالسنوسية الإدريسية القادرية الناصرية الشاذلية، وكلها مرجعها محمدية، وقال الأستاذ السيد محمد بن علي السنوسي: ونسبة الطريقة المحمدية إلى سيدنا (محمد ﷺ) دون غيره لمتابعة السنة في القليل، والكثير. للمزيد أنظر: أحمد الشريف السنوسي، الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السنوسية، ط1، (د . ن)، إسطنبول، 1339ه، ص ص4، 5.

([6]). عبد الجليل الطاهر، المجتمع الليبي دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1969م، ص ص247، 248.

- **أسباب اختياره لبرقه:**

كما هو واضح من العرض السابق أن محمد بن علي السنوسي هو صاحب دعوة، يسعى فيها إلى تحويل الناس عما ألفوه وعرفوه، ويريدها أن تعم وتنتشر بين أعظم طائفة من الناس، لذلك لم يخلو تفكيره من البحث عن أفضل الأماكن لنشر هذه الدعوة.

أولاً: من حيث تقبل سكان هذا المكان لتلك الدعوة، وعدم أبداء أية معارضة أو مقاومة لتعاليمه وأرائه.

ثانياً: من حيث أن يكون هذا المكان وسيطاً بين تلك الأقطار التي يريد نشر الدعوة بها ويسهل الاتصال به[7].

ولذلك حرص محمد بن علي السنوسي على اختيار المكان المناسب لنشر دعوته الإصلاحية، محاولاً الابتعاد عن كل ما يمكن أن يعيقه، أو يكون عقبة تحول دون تحقيق الأهداف التي كان يسعى من أجلها، ولهذا سوف نقوم هنا باستعراض الأسباب التي دعته لاختيار برقة[8] دون غيرها مقراً لإقامته، ونشر دعوته، وهذه الأسباب والدوافع هي **كالأتي:**

أولاً: قصد محمد بن علي السنوسي بعد تركه للجزائر الأراضي المصرية والتي كان يحكمها في ذلك الوقت محمد علي باشا الكبير مؤسس الدولة المصرية الحديثة[9]، وقد قصد بالتحديد في رحلته هذه وعقد العزم على بدء الدراسة في الجامع الأزهر الشريف، الذي اشتهر بمكتبته الكبيرة التي تحتوي على حوالي 6000 مجلد، ومرصد فلكي[10]، للأخذ عن علمائه الأجلاء الذين تمتعوا بشهرة كبيرة في العالم الإسلامي، ومن جملة هؤلاء الأئمة الشيخ حسن العطار، والشيخ الأمير، والقويسني، والشيخ الميلي التونسي، والشيخ ثعيلب، والشيخ الصاوي.

ومع إنه قد تحقق لمحمد بن علي السنوسي الاجتماع بهؤلاء العلماء وتلقي العلم منهم، والتحاور معهم في أمور الدين، إلا أن شدة تمسكه بعقيدته التي تدعو في جوهرها إلى إصلاح أحوال العالم الإسلامي من خلال تطبيق تعاليم الدين الحنيف، ودعواه بعدم انقطاع الاجتهاد في الدين، واستقلاليته في رأيه، واعتداده بشخصيته، وعلمه، وكفاءته، كذلك عدم اهتمامه بالحكام، والتوجه بسياساتهم حيث إنه لم يكن مرتاحاً لنوع الحكم الذي أقامه محمد علي في مصر، والذي أقصى فيه العلماء عن المشاركة في تسيير شؤون الدولة، جعل محمد بن علي السنوسي موضع خوف من علماء الجامع الأزهر، تلك المؤسسة التي أصبحت تربطها علاقات شبه رسمية بالسلطات الحاكمة، وصار العلماء فيها يخشون بطش الحاكم وقوته.

وهكذا عندما قرر محمد بن علي السنوسي طرح أفكاره بوعظ الناس والدعوة إلى إصلاح الأمة ونشر الدين بدلاً من تلقي العلم، وحضور حلقات الدرس فقط، وكذلك دعوته إلى فتح باب الاجتهاد أثار معارضة شديدة من قبل علماء الأزهر الذين اعتبروه متطرفاً في آرائه الدينية، وتعاليمه، حتى إنهم طلبوا من جمهور المسلمين الابتعاد عنه كمبتدع في الدين[11].

([7]). محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص51-54.

([8]). **برقة:** يعد إقليم برقة واحداً من بين ثلاثة أقاليم تكونت منها طرابلس الغرب(ليبيا)، وهي إيالة طرابلس، وإقليم فزان، إضافة إلى إقليم برقة، وقد عرف هذا الإقليم قديماً باسم (سيرنيكا)، وإقليم برقة هو الأكبر مساحة وتقدر بـ700 ألف كيلو متر مربع ويمثل المنطقة الممتدة شرقاً إلى مدينة مرسى مطروح (التابعة لجمهورية مصر)، وغرباً إلى خليج سرت، وجنوباً الصحراء الليبية حيث تدخل واحة الكفرة، وواحتا جالو وأوجله وكذلك الجغبوب من ضمن حدوده، ويمتد شمالاً إلى ساحل البحر المتوسط. انظر: فيليب رفلة، الجغرافية السياسية لإفريقية، (د . ن)، القاهرة، 1965م، ص335.

([9]). محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص 37، 38.

([10]). لوثروب استودارد، حاضر العالم الإسلامي، ت. عجاج نويهض، ج1، 2، دار الفكر بيروت، 1971م، ص362.

([11]). محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص37، 38.

وكان الشيخ **(محمد عليش)** صاحب الفتاوى المالكية من أبرز معارضي محمد بن علي السنوسي، وقد أشار الإمام محمد عبده في كتابه "الإسلام والنصرانية" لهذه العداوة في معرض حديثه عن عداوة علماء العصر للعلوم فقال: "ألم يسمع السامعون أن الشيخ السنوسي كتب كتاباً في أصول الفقه زاد فيه بعض المسائل على أصول المالكية، وجاء في كتاب له ما يدل على دعواه أنه ممن يفهم الأحكام من الكتاب والسنة مباشرة، وقد يخالف رأي مجتهد ومجتهدين، فعلم بذلك أحد مشايخ المالكية، وكان المقدم في علماء الجامع الأزهر، فحمل حربة وطلب الشيخ السنوسي ليطعنه بها لأنه خرق حرمة الدين، واتبع سبيلاً غير سبيل المؤمنين، وربما كان يجترئ الأستاذ على طعن الشيخ السنوسي بالحربة لو لاقاه، وإنما الذي خلص السنوسي من الطعنة، ونجا الشيخ المرحوم عن سوء المغبة، وارتكاب الجريمة باسم الشريعة هو مفارقة السنوسي للقاهرة قبل أن يلاقيه الأستاذ المالكي"، والأستاذ المالكي هو الشيخ محمد عليش.

وقد ورد تفصيل لهذه الحادثة في كتاب للشيخ محمد عليش نفسه بعنوان: "فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك"، والمعروف بالفتاوى المالكية، حيث أورد فيه عدة فتاوى تتعلق بابن السنوسي من ذلك المسألة التي تقول: "ما قولكم فيمن كان مقلداً لأحد الأئمة الأربعة (رضي الله عنهم) وترك ذلك زاعماً أنه يأخذ الأحكام من القرآن، والأحاديث الصحيحة تاركاً لكتب الفقه مائلاً لقول أحمد بن إدريس بذلك قائلاً إن كتب الفقه لا تخلو من الخطأ، وفيها أحكام كثيرة مخالفة للأحاديث الصحيحة"، وبعد أن يعدد أقوالهم، وأفعالهم يقول: ".. ومنها أن طائفة منهم نزلت ببرقة وبنت زاوية وجعلت لها حمى من البصر " ثم يتهمهم بالسرقة، والقتل، والكذب، ويختمها بقوله: "فهل ما عليه هؤلاء الجماعة ضلال يجب الروع عنه، والمبادرة بالتوبة منه.. أفيدوا بالجواب"، ويرد الشيخ محمد عليش بجواب مسهب يدلل فيه على إغلاق باب الاجتهاد ويرفض بشدة اجتهادات محمد بن علي السنوسي[12].

ومما تقدم يبدو أنه لم يكن أمام محمد بن علي السنوسي من اختيار سوى ترك مصر، وعلى الرغم من قسوة كل تلك الأحداث إلا أنها لم تضعف عزيمته بل لعلها جعلته أكثر حذراً ودقة في اختيار مركز دعوته الذي حدده فيما بعد وكانت برقة.

ثانياً: ولما كان هدف محمد بن علي السنوسي الأول هو الإكثار من تحصيل العلم، والبحث عن مكان أخر تكون الأوضاع فيه أكثر ملائمة لتحقيق أفكاره وطموحاته الإصلاحية، فلم يتردد في الذهاب إلى الأراضي الحجازية مهبط الوحي على نبينا الكريم، فاستقر فيها وتابع دراساته بإشراف كبار علماء مكة، يشتغل في نشر العلوم، وتحصيلها، والمناظرة فيها، كما اجتهد في دراسة المذاهب الإسلامية لتطبيق فكرته في اتخاذ مذهب واحد يعينه على توحيد العالم الإسلامي، وقد تمكن بفضل ما تمتع به من سعة في العلم، وطلاقة اللسان مع لطف المعشر، من أن يجمع عدد كبير من التلاميذ، والأتباع، والمريدين حوله خاصة من البدو في أرض الحجاز.

كما شرع محمد بن علي السنوسي في بناء الزوايا في العديد من المناطق الحجازية، في المدينة المنورة، وفي الطائف وجدة وينبع وبدر وغيرها، وكانت زاوية أبي قبيس التي أسسها بالقرب من مكة سنة 1837م هي مقره الرئيسي، وقد تخرج منها العديد من العلماء منهم من كان من أهل الحجاز كالشيخ فالح الظواهري الذي لازم محمد بن علي السنوسي حتى انتقاله إلى الجغبوب، وآخرين غيرهم من مشايخ المسلمين الذين قصدوا الحجاز آنذاك للحج إلى بيت الله الحرام، أو طلباً للعلم، وانقطاعا للعبادة[13].

([12]). أحمد صدقي الدجاني، الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، ط1، دار لبنان للطباعة، بيروت، 1967م، ص87.
([13]). محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص ص50، 51.

وقد أثار النجاح الكبير الذي حققته الحركة السنوسية في الحجاز وبشكل خاص بين البدو غيرة وخشية بين أوساط مختلفة في مكة منهم: الوهابيون، والأشراف، والإدارة التركية فالاعتراضات الحقيقية على الحركة السنوسية كانت نابعة من تهديدها لنفوذ، وامتيازات هذه الفئات سالفة الذكر، وانطلاقاً من هذا الأساس كان شيوخ مكة وعلمائها الوهابيون يخالفونه، وينتقدونه في أفكاره ومبادئه، بل وادعوا بأن طريقته الجديدة تدعو إلى التنازل، والتساهل للبدو في الشؤون الدينية، وهو الأمر الغير مقبول[14]، وكان الوهابيون يعلنون العداء صراحة لكل من يخالف تعاليم محمد بن عبد الوهاب[15].

كان هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن اتصاله بأتباع أستاذه الشيخ أحمد بن إدريس الفاسي[16] في صبيا وهي أرض وهابية قد أثار مخاوف السلطات العثمانية الحاكمة في مكة، والتي كانت على عداء مع الوهابيين[17].

فمنذ مطلع القرن الثامن عشر كان تحدي الوهابيين للسلطات العثمانية في أرض الحجاز سبباً في احتلال قوات محمد علي باشا للجزيرة العربية نيابةً عن الإمبراطورية العثمانية عام 1818م، ومنذ أن تقهقرت القوات المصرية عام 1841م أصبح الوهابيين يقيمون حكماً ذاتياً خاصاً بهم في نجد، ومنها انطلق الفكر الوهابي إلى بقية أرجاء الجزيرة العربية[18].

إن الأوضاع السياسية في أرض الحجاز خلال تواجد محمد بن علي السنوسي فيها كانت تزداد سوءاً بسبب الصراع المستمر بين الوهابيين وحلفائهم آل سعود وبين الدولة العثمانية، وبهذه الأسباب قرر محمد بن علي السنوسي أن يغادر أرض الحجاز، بعد أن تعذر عليه البقاء هناك، مبتعداً عن كل تلك العراقيل، والعقبات التي أصبحت تحيل بينه وبين تحقيق ما جاء من أجله، فكانت ليبيا وبالتحديد منطقة برقة المكان الذي اختار البقاء فيه خلال رحلة العودة إلى بلده الجزائر لإنشاء الزوايا، ونشر العلم، والدعوة بين أبنائه[19].

ثالثاً: أهتم محمد بن علي السنوسي ببرقه (الجزء الشرقي من ليبيا) اهتماما كبيراً وخاصة في أثناء تنقلاته بين الحجاز وبين بلده الجزائر، وتابع أخبار سكانه، وأحوالهم فكانت النظرة الخاصة لمحمد بن علي السنوسي هو أنهم في أمس الحاجة إلى وجود المصلحين الذين يقومون بنشر الدعوة للدين القويم بينهم، ومواجهة خمول العلماء، وتقاعس الحكومات عن نشر التعليم في برقة، وتعليمهم الصناعات لسد حاجاتهم، وتعميم استعمال السلاح، والفروسية لكل فئاتهم وطبقاتهم[20].

رابعاً: خلال الفترة التي تواجد فيها محمد بن علي السنوسي في الحجاز لنشر دعوته كان كل من يأتيه من أفريقيا لزيارته يطلعه على الحال التي آلت إليه القبائل، والشعوب الأفريقية، والإسلامية هناك، وبشكل خاص ما حصل في بلده الجزائر، وعن أنظار وأطماع الأوربيون في بقية البلدان الأفريقية، ولعل هذا

---

(14). ايفانز بريتشارد، السنوسيون في برقة، ت:عمر الديراوي أبو حجلة، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1948م، ص22.
(15). مضاوي الرشيد، تاريخ العربية السعودية بين القديم والحديث، ط2، منشورات دار الساقي، لندن، 1883م، ص ص23، 24.
(16). وقد توطدت علاقة محمد بن علي السنوسي في أثناء وجوده بمكة مع الشيخ أحمد بن إدريس الفاسي، ونسبه هو: أحمد بن إدريس بن محمد بن علي بن أحمد بن الطيب بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن موسى بن الحسن بن موسى بن إبراهيم بن عمر بن أحمد بن عبد الجبار بن محمد بن يملح ابن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سليمان بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن إدريس الملقب بالأصغر بن إدريس الملقب بالأكبر بن عبد الله الملقب الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب زوج السيدة فاطمة الزهراء، وهو من أفضل شيوخ ابن السنوسي وقد تأثر به تأثراً عظيماً، أخذ عنه ابن السنوسي عددا من الطرق الصوفية، ودرس عليه الحديث، والسنة، ولد أحمد بن إدريس سنة 1173ه ببلدة ميسورة في المغرب، وتلقى العلم على أكبر علمائها ثم هاجر إلى مكة، واستقر في الحجاز، وأصبح من علماء وقته. انظر: أحمد الشريف السنوسي، محمد بن علي السنوسي من المهد إلى اللحد، ج1، مخطوط، ص23.
(17). محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص ص44، 45.
(18). مضاوي الرشيد، المصدر السابق، ص24.
(19). محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص ص45، 46.
(20). المصدر السابق، ص ص53، 54.

كان أحد أهم الأسباب التي دعته إلى نقل مقر إقامته إلى ليبيا وبالتحديد في إقليم (برقة)[21]، من أجل الوقوف على تلك الأحداث عن قرب، والعمل على توحيد تلك الشعوب من خلال إعادتها إلى قواعد الدين الإسلامي الصحيحة، حتى تتمكن من الحفاظ على وطنها ودينها وكرامتها، أمام أطماع المستعمرين[22]، وكذلك من خلال خلق ظروف يستطيع فيها مسلمو شمال أفريقيا أن يعيشوا طبقاً لشرائعهم، وفي ظل حكومتهم الخاصة كما فعل المسلمون في بلاد العرب في ظل الخلفاء الأربعة الأولين[23].

خامساً: اضطرار محمد بن علي السنوسي للإقامة في ليبيا خلال تلك الفترة، وذلك لأن الطريق إلى الغرب حيث بلده الجزائر كان مسدوداً من قبل المستعمر الفرنسي الذي كان أشد حرصاً على الحيلولة دون انتشار الدعوة السنوسية ونفوذ أصحابها هناك[24]، فضلا عن ذلك فإن الأحوال في الجزائر أصبحت تعمها الفوضى نتيجة الاحتلال الفرنسي، حيث شهد دليلاً أخر على تدهور وضعف العالم الإسلامي، ورأى من الضروري أن تشمل دعوته أعظم جمهور من المسلمين لإصلاح أحوالهم، وجمع كلمتهم[25].

كما أن الطريق إلى الشرق كان لا يشجع على العمل بسبب سيطرة السلطات العثمانية، وكذلك العلماء المخالفين والمعارضين لأفكاره في كل من مصر وارض الحجاز[26]، وهذا فضلاً عن نظام الحكم المستقل الذي أنشأه محمد علي باشا في مصر، وبلاد الشام، والحجاز، والذي تسبب بدوره في ضعف دولة الخلافة العثمانية، والإمامة العظمى على البلدان العربية الإسلامية، وانقسامهم، وتشتتهم شيعاً وأحزاباً[27].

وهكذا لم يبقى أمام محمد بن علي السنوسي إلا الأجزاء الوسطى من شمال أفريقيا (ليبيا) وأواسط القارة الأفريقية (دول جنوب الصحراء)، وهي في أمس الحاجة إلى العمل على نشر الدعوة الإسلامية فيها[28].

سادساً: أما ما يخص ليبيا وبالتحديد إقليم برقة فمن الناحية السياسية لم يكن للسلطات العثمانية[29] حتى ذلك الوقت سوى سيطرة ضعيفة على الإقليم، ومعظم المناطق الداخلية والريفية فيه لا تزال بعيدة عن سيطرة المدن، فالقبائل العربية في برقة كثيراً ما كانت تشق عصا الطاعة على الحكومة التركية متى ما دعت الحاجة إلى ذلك، دونما أن تخشى مغبة ذلك العمل وعقوبته وبكل جرأة، ويحتفظون لأنفسهم بالكرامة مهما كلفهم الأمر فذلك عادة عند العرب في كل زمان ومكان، غير أن العرب في برقة قد

([21]). **برقة:** يعد إقليم برقة واحداً من بين ثلاثة أقاليم تكونت منها طرابلس الغرب(ليبيا)، وهي إيالة طرابلس، وإقليم فزان، إضافة إلى إقليم برقة، وقد عرف هذا الإقليم قديماً باسم (سيرنيكا)، وإقليم برقة هو الأكبر مساحة وتقدر بـ700 ألف كيلو متر مربع ويمثل المنطقة الممتدة شرقاً إلى مدينة مرسى مطروح (التابعة لجمهورية مصر)، وغرباً إلى خليج سرت، وجنوباً الصحراء الليبية حيث تدخل واحة الكفرة، وواحتا جالو وأوجله وكذلك الجغبوب من ضمن حدوده، ويمتد شمالاً إلى ساحل البحر المتوسط. انظر: فيليب رفلة، الجغرافية السياسية لإفريقية، (د.ن)، القاهرة، 1965م، ص335.

([22]). صادق مؤيد العظم، رحلة في الصحراء الكبرى بإفريقيا، ت: عبد الكريم أبو شويرب، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، 1998م، ص 122.

([23]). ايفانز بريتشارد، المصدر السابق، ص22.

([24]). عبد الجليل الطاهر، المصدر السابق، ص248.

([25]). محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص 34 - 37.

([26]). عبد الجليل الطاهر، المصدر السابق، ص248.

([27]). علي سلطان، تاريخ العرب الحديث 1516 – 1918م، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، ليبيا، 1990م، ص154 – 163.

([28]). عبد الجليل الطاهر، المصدر السابق، ص248.

([29]). كان محمد بن علي السنوسي ينظر إلى دولة الخلافة كواقع موجود لا تسمح الظروف بتغييره بل لعلها تفرض الحفاظ عليه وعدم الاصطدام به لذلك جعل علاقته بها جيدة مع أنه كان يرى أن الإمامة لابد وأن تكون لقرشي كما أوضح في كتابه "الدرر السنية"، ومع أن الدولة العثمانية ربما استشعرت بعض التخوف من السنوسية، والتزمت الحذر، إلا أن ذلك لم يمنعها من إبداء عطفها سياسة منها في كسب ود محمد بن علي السنوسي، وأتباعه المتزايدة أعدادهم في كل يوم، وبناءاً عليه فقد أعفيت الزوايا السنوسية من الضرائب، وأحيطت بالحماية القانونية، وصدرت الأوامر بمعاونة أفرادها، وهذا دليل قاطع على حسن العلاقات. أنظر: أحمد صدقي الدجاني، المصدر السابق، ص103 - 107.

بالغوا في ذلك، فلأقل شيء يشعرون فيه بإهانة لكرامتهم أو قوميتهم أو استقلالهم فأنهم يثورون، ومن لا يفعل منهم ذلك فأنه يرمى بالذل والجبن، والركون إلى الهوان، والاستسلام للجور، ومن أشهر القبائل التي ثارت على الحكومة العثمانية خلال تلك الفترة نذكر منها قبيلة المغاربة بقيادة شلبي الغول سنة 1876م، وكذلك قبيلة الزوية تحت زعامة الشيخ عبد الكريم الحليق، وأبي بكر قويطين سنة 1879م، وقبيلة منصور إحدى قبائل العبيدات سنة 1877م، أيضاً قبيلة البراعصة تحت زعامة الشيخ مازق أبوبكر حدوث سنة 1894م، ومرة أخرى بزعامة الشيخ مازق أبوبكر حدوث، والشيخ محمد أبو فروة عام 1896م، وقبيلة العواقير بزعامة الشيخ مفتاح الكاسح سنة 1894م[30].

سابعاً: ومن الناحية السياسية أيضاً كان إقليم طرابلس خلال تلك الفترة أكثر انفتاحاً على الحضارة الغربية كونه مركز الولاية، وأصبحت مدنه أكثر تأثراً بالطابع الأوروبي في شكل العمارة، والثقافة، وأسلوب الحياة مع تزايد الجاليات الأوروبية هناك، وهو بالتالي كان أكثر عرضة للمخاطر الاستعمارية[31]، على العكس من برقة التي لا تزال حتى ذلك الوقت تعيش حياة أكثر انعزالا وانطواء، بثقافتها، وتراثها، وطابعها العربي، كما ينعدم فيها حتى ذلك الوقت الوجود الأجنبي تقريباً، وبذلك فإن الخطر الاستعماري هو أقل تهديداً نسبياً بالمقارنة مع إقليم طرابلس[32]، وهذه الميزة لإقليم برقة هي ما كان ينشده محمد بن علي السنوسي الذي كان يرغب في اعتزال مواطن الحكومات حتى تكون له حرية العمل في تطبيق أفكاره.

ثامناً: ومن الناحية الاجتماعية تتألف المجموعات السكانية في برقة من قبائل عربية، وبدوية، تربطها أنماط حياة اجتماعية متجانسة، كما يقوم النظام القبلي فيها على عصبيات دموية مشتركة، وأيضاً أعراف وتقاليد متشابهة، وظلت طرائق حياتهم الأساسية حتى ذلك الوقت شبيهة بحياة البدو في شبه جزيرة العرب في القرن السابع الميلادي[33]، وهذا يسهل بالطبع المهمة التي قدم من أجلها محمد بن علي السنوسي وهي توحيد تلك القبائل تحت راية واحدة[34] فبدأ نشاطه بتشييد الزوايا وهي مراكز الدعوة السنوسية للتغلغل في القبائل، واستقطابها ودعوتها إلى التعلم فيها، حيث كان محمد بن علي السنوسي كثير الاهتمام بالبادية، وما يفسر أسباب النمو السريع للدعوة السنوية في برقة هو طبيعة الحركة، ونظمها المتطورة بالنسبة إلى عصرها، وكذلك فهمها للمجتمعات القبلية[35].

تاسعاً: تفشي الجهل بين القبائل المقيمة في برقة، والذي لمسه محمد بن علي السنوسي في أثناء مروره بها، وإدراكه إلى أي حد جعل تلك القبائل تبتعد عن إقامة شعائر الدين، وتتمسك بمشاغل الدنيا، بل اتجهت بعضها إلى أعمال السلب والنهب، وقطع الطريق على القوافل المارة، هذا الأمر الذي لم يكن من عادات هذه القبائل[36].

إن القبائل التي تعيش في برقة وفي معظم الصحراء الليبية رغم إنها قبائل مسلمة بالفطرة إلا إنها قبل مجيء السنوسيين كانت لا تعرف سوى القليل عن الإسلام وأركانه، كالصلاة، والصوم، وغيرهما من شعائر الدين، وفرائضه، كما يجهلون معظم المعاملات الشرعية كتلك المتعلقة بالبيع، والشراء والأمور الدنيوية الأخرى[37]، وكان البدو في حاجة إلى من يوجههم التوجيه النافع، ويدعوهم

---

(30). محمد الطيب بن أحمد إدريس الأشهب، برقة العربية أمس واليوم، مطبعة الهوا ري، القاهرة، 1947م، ص163، 164.

(31). C. Ballbo; Le Speranze d ltalia Turino 1920. p. 139, W. Askew; Europe and Italy s Acquisition of Libya 1911 - 1912 Duke University press 1942. p 12.

(32). محمد الطيب بن أحمد إدريس الأشهب، المصدر السابق، ص163، 164.

(33). ايفانز بريتشارد، المصدر السابق، ص17.

(34). محمد الطيب بن أحمد إدريس الأشهب، المصدر السابق، ص163، 164.

(35). علي محمد الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في إفريقية ، ص175.

(36). محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص51 - 54.

(37). صادق مؤيد العظم، المصدر السابق، ص ص 116، 117.

إلى البر والخير، ومكارم الأخلاق بالحكمة والموعظة الحسنة، كان القوي منهم لا يتورع في الحصول على ما تصبو إليه نفسه بالقوة، أما الضعيف فكان لا يرى له حقاً، فهذه القبائل العربية في برقة لا ترى في شن الغارات والغزو والقتال عيباً، فكل قبيلة من هذه القبائل تعمل لما يعزز مركزها ويقوي شوكتها في نظر القبيلة الأخرى، ولأقل الأسباب وأتفهها كانت تقوم الحروب، فتارة من أجل شخص حلب ناقة غيره بدون استئذانه، وتارة من أجل شخص استضاف آخر ولم يكرم وفادته، وذلك من أقصى درجات البخل، ويسمونها عندهم بالفسالة، ولا تكون إلا تعمداً وعن قصد لحاجة في نفس المضيف تجاه الضيف، وتارة أخرى من أجل بهيمة أكلت زرعاً ليس ملكاً لصاحبها، أو من أجل رجل تزوج امرأة ولها ابن عم لا يريد زواجها من غيره، وهكذا ودون أن يمر وقت طويل حتى تقوم الحروب التي تجر ورائها تلك القبائل إلى هاوية الخراب والدمار.

ومن أهم الحروب التي قامت في برقة قبل مجيء السنوسيون إليها حروب قبائل العبيدات مع قبائل أولاد علي، المعروفة باسم (تجريدة حبيب) ثم الحرب التي وقعت بين قبائل الجبارنة، والفوائد، ثم حرب الجبارنة مع الحرابي، والمعروفة بحرب (بياض) وحرب قبائل الجبارنة مع قبيلة الحسون، وغيرها من الحروب الأخرى المعروفة في برقة والتي تقع أحياناً بين عائلات صغيرة ثم ما تلبث أن تتوسع لتتورط فيها قبائل كبيرة لا ناقة فيها ولا جمل إلا استجابة لنداء المغلوب،[38] هذا فضلاً عن الغارات والغزو المستمر الذي تشنه هذه القبائل على السودان، والقبائل العربية في مصر فتؤخذ أموال المظلوم، ويقتل البريء، ويخطف الأطفال ليعملوا كعبيد وهكذا[39].

هذا بالإضافة إلى أن الاستقلالية الاقتصادية للقبائل البدوية، والعداء المتبادل في بعض الأحيان على مصادر المياه، والرعي فيما بينها، والآماد الصحراوية الكبيرة التي تفصل كل واحدة منها عن الأخرى قد زاد من حالة الفرقة بينها، بحيث أصبحت كل قبيلة تعيش ضمن عالمها المنغلق الخاص بها[40].

ولذلك كان أهل هذه المنطقة من أشد الناس حاجة إلى الإرشاد، والهداية لمعرفة قواعد الدين الإسلامي، والتحلي بأخلاقه العالية ليصح دينهم، وتصلح دنياهم، خاصة وأن كل تلك القبائل هي قبائل مسلمة، وعلى مذهب واحد[41]، ومن هنا أيضاً جاء تنظيم محمد بن علي السنوسي لدور الزاوية بحيث تكفي لسد حاجات المجتمع في برقة، ففيها المدرسة القرآنية، والمسجد يقومان بالتعليم وسد حاجاتهم الدينية، وتوجيه عاطفة البدو إلى إتباع الرسول وتقليده، وفيها السوق لسد حاجاتهم الاقتصادية، وفيها كذلك شيخ الزاوية رجل حيادي يفصل في المنازعات بين تلك القبائل[42]، وبالفعل استفاد محمد بن علي السنوسي من خصال البدو النبيلة وعمل على إبرازها بعد أن خلصها من خشونة الطباع، وآثار الجهل، وانتهت باستقراره في برقة حالة الفوضى، وانعدام الأمن، والحروب التي كانت تنشب بين القبائل، وهنا يعطينا الحشائشي شهادة طيبة عن البدو في برقة كما رآهم عند زيارته لهم فيقول: "إن أهل الجبل الأخضر طباعهم حسنة، وأخلاقهم طيبة لينة، معتقدون في شيخهم سيدي المهدي السنوسي اعتقاداً لا تزحزحه الجبال، ويخافون الله ورسوله، وأهم أصحاب عبادة، وقد ضرب الأمن، وعدم الخوف أطنابها بأرضهم، فالغريب والسائح عندهم لا يهضم له جانب ولو كانت معهما حمول الذهب، والفضة"[43].

---

(38). محمد الطيب بن أحمد إدريس الأشهب، المصدر السابق، ص162، 163.
(39). وليد شعيب آدم، تجارة الرقيق عبر صحراء إيالة طرابلس الغرب خلال القرن التاسع عشر (رسالة دكتوراه غير منشورة) قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، 2012م، ص64، 65.
(40). ن . أ . بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ت- عماد حاتم، ط2، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2001م، ص322.
(41). محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص51 - 54.
(42). أحمد صدقي الدجاني، المصدر السابق، ص267.
(43). المصدر السابق، ص269.

عاشراً: كانت البيئة الاجتماعية البسيطة في برقة بمثابة الأرض البكر التي كان يبحث عنها محمد بن علي السنوسي ليبدأ عمله فيها، ويبذر أفكاره الإصلاحية، وينفذ مخططاته الدعوية فالمجتمعات البسيطة هي الأكثر قدرة على حمل الدعوة في أغلب الأحيان، وأكثر اندفاعاً، وأسهل قيادة، خاصة مع انعدام أية أفكار دعوية، أو توجهات دينية منافسة فلو أن محمد بن علي السنوسي بدأ عمله الدعوي في مكان أخر غير برقة لوجد منافسة قوية من المعاهد العلمية، والعلماء كجامعة الزيتونة، أو الأزهر، أو المعاهد الشرعية الأخرى في المدن المختلفة، وهكذا تضافرت عوامل العزلة السياسية، والثقافية مع بساطة المجتمع القبلي في برقة في سرعة انتشار الدعوة السنوسية، ونجاحها[44].

أحد عشر: ومن الناحية الاقتصادية فمنطقة الجبل الأخضر الواقعة في إقليم برقة تعد من أخصب المناطق في ليبيا، الأمر الذي لفت نظر محمد بن علي السنوسي إليها أثناء مروره بها فعزم على بناء زواياه فيها، يشير الأمير (شكيب أرسلان) في كتاب حاضر العالم الإسلامي للوثروب استودارد إلى حسن اختيار مواقع الزوايا السنوسية في برقة فقال: "وأغلب هذه الزوايا مختار لها أجمل البقع وأخصب الأراضين، وفيها الآبار التي لا تنزح من كثرة مائها، وفي الجبل الأخضر هي بجانب عيون جارية، وأنهر صافية، .. وقل أن مررت بزاوية ليس لها بستان أو بستانين فيها من كل أنواع الفواكه[45].

فمحمد بن علي السنوسي ركز في دعوته على ضرورة العمل، والاعتماد على النفس، وعدم الاتكال في توفير الاحتياجات واكتساب الرزق، والحركة السنوسية هي طريقة للحياة بمختلف نواحيها، ولم يقتصر نشاطها على دعوة الناس إلى العبادة، والتصوف فقط بل إلى أن يكون المسلمون منتجين، ويعيشون من كدهم[46]، كما أنها من جهة تركز على العلم، ومن جهة أخرى تدعو إلى العمل مثل الزراعة والتجارة وغيرها، ولهذا نجد أنه عند اختيار الأرض لبناء أي زاوية سنوسية كان يولى اهتمام كبير لجدوى تلك الأراضي المحيطة بها من أجل إقامة حياة حضرية وللاشتغال بالزراعة، وهذا ما يؤكده احتواء كل الزوايا على المزارع، والمتاجر، كذلك بناء أغلبها في مناطق الواحات حيث الزراعة، وتجارة القوافل التي كانت تمثل مصدراً مهماً جداً للدخل[47]، فالحركة السنوسية هي طريقة مختلفة تماماً في برامج عملها عن بقية الطرق الصوفية، حيث كانت منذ بداية الأمر دعوة دينية مدنية، تحرم قبل كل شيء على أتباعها التسول، بل تأمرهم بالكد، والسعي من أجل عيشهم على أساس الأخوة والتعاون، فتطلب منهم العمل في الزراعة، والتعمير، والإنشاء[48]، على عكس الطرق الصوفية الأخرى التي يعيش أتباعها حياة الزهد المغرق والكسل والخمول، وصرف الوقت في العبادة فقط، والعيش على ما يتصدق به عليهم الناس وليس لهم أي اهتمام بشؤون الدنيا، ويعرف رؤساء هذه المجموعات التابعة لهذه الطرق باسم الدراويش[49].

أثنى عشر: أما من ناحية الموقع فقد لاحظ محمد بن علي السنوسي أن القوافل الذاهبة إلى طرابلس الغرب، وفزان، ومصر، وبرنو، ووداي، أو تلك القادمة منها ومن ما يجاورها من البلدان جميعها تمر بمنطقة برقة، وهذا ما يمكنه بالتالي من جعلها سبلاً لنشر تعاليم الدين الصحيح، ومكافحة ذلك التدهور الخطير الذي يهدد وحدة المسلمين وقوتهم[50]، وعن ذلك الاختيار يقول إيفانز برتشارد: "إن من يدرس

---

(44). نفسه، ص87.
(45). لوثروب استودارد، المصدر السابق، ص297.
(46). محمد عزة دروزه، نشأة الحركة العربية الحديثة، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1971م، ص77.
(47). جمال حمدان، الجمهورية العربية الليبية دراسة في الجغرافية السياسية، مطابع الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1973م، ص26.
(48). نقولا زيادة، برقة الدولة العربية الثامنة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1950م، ص ص65 – 67.
(49). إسماعيل العربي، معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، دار الأفاق الجديدة، المغرب، 1993م، ص ص215، 216.
(50). محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص51 - 54.

توزيع الزوايا السنوسية في برقة يلاحظ أنها أقيمت وفق خطة سياسية، .. فقد بني عدد كبير منها على منشآت يونانية، ورومانية، وأسست على طرق القوافل الهامة، وفي مواقع دفاعية قوية"[51].

لقد استفاد محمد بن علي السنوسي من خبرة البدو في برقة بالصحراء، وطرقها في نشر دعوة الإسلام، فساهمت قبائل برقة وخصوصاً تلك التي تقطن واحات الجنوب كالزوية، والتبو في نشر الإسلام بين وثنيي أفريقيا، وتأسيس الزوايا السنوسية عندهم[52].

ثلاثة عشر: معرفة محمد بن علي السنوسي لطبيعة منطقة برقة، وموقعها الاستراتيجي الذي يميزها عن غيرها من البلاد، حيث يفصل إقليم برقة ويعزلها عن بقية المناطق المجاورة لها أراضي صحراوية وفيافي خالية تحيط بها من كل الجهات، مما يجعلها محصنة طبيعياً فمنطقة برقة يفصلها عن عاصمة الدولة المصرية في الشرق مسافة تقدر بـ 700 كيلو متر، ومن جهة الغرب تفصلها عن ولاية طرابلس مسافة 1000 كيلو متر تقريباً، كما أن بحر الرمال العظيم يعتبر حاجزاً طبيعياً منيعاً لها من الجهة الجنوبية[53].

أربعة عشر: التاريخ الحافل الذي تتميز به هذه المنطقة والذي يؤكد بدوره على أهمية موقعها الاستراتيجي، ابتدءا من الحضارة اليونانية في الأزمنة القديمة التي أسست العديد من المدن منها قورينة، وطلميثة، وتوكره، إلى الفتح العربي الإسلامي في القرن السابع الميلادي، واستقرار القبائل العربية في أرجائها، حيث سادها الأمن والعدل، ثم تلاها الاحتلال العثماني لكل من برقة، وطرابلس اللتين أصبحتا من إيالات الدولة العثمانية في القرن الخامس عشر الميلادي، وظلتا كذلك حتى الغزو الايطالي للبلاد عام 1911م[54].

- الخاتمة:

يمكننا هنا أن نلخص ما توصلنا إليه من نتائج خلال دراستنا لهذا الموضوع والذي جاء بعنوان أسباب اختيار محمد بن علي السنوسي برقة مركزاً لنشر دعوته الإصلاحية بالقول أن هذا الاختيار لم يكن بمحض الصدفة وإنما جاء بعد دراسة لمقومات هذا الإقليم، ومميزاته بجميع جوانبها الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية استطاع أن يلاحظها محمد بن علي السنوسي خلال زياراته لهذه المنطقة أثناء تنقلاته ما بين الحجاز وبلده الجزائر، وتتبعه لأخبار سكانه، وأحوالهم بعد أن تعذر على محمد بن علي السنوسي البقاء في مصر لنشر دعوته بسبب تعصب شيوخ المالكية واتهامهم له بالكفر، وكذلك صعوبة بقائه بجانب الوهابيين في أرض الحجاز نتيجة لتشدد أفكارهم، فضلاً عن التوتر السياسي، والصراع على السلطة بين الوهابيين والدولة العثمانية في أرض الحجاز من جهة، والتدخلات الأجنبية في مصر، وأطماع الاستعمار الفرنسي في الجزائر، والمغرب العربي من جهة أخرى لذلك حرص ابن السنوسي على اختيار المكان المناسب لنشر دعوته الإصلاحية، محاولاً الابتعاد عن كل ما يمكن أن يعيقه، أو يكون عقبة تحول دون تحقيق الأهداف التي كان يسعى من أجلها فوجد ضالته في إقليم برقة الذي كان يمثل أصلح الأماكن للاستقرار، ونشر الدعوة خلال تلك الفترة لا سيما من الناحية السياسية.

كما أن محمد بن علي السنوسي استطاع من خلال معرفته بطبيعة منطقة برقة الاستفادة من موقعها الاستراتيجي المميز على طريق القوافل الهامة، وجعلها سبلاً لنشر الدعوة السنوسية، كما استفاد

---

(51). ايفانز بريتشارد، المصدر السابق، ص78.
(52). أحمد صدقي الدجاني، المصدر السابق، ص269.
(53). عبد الجليل الطاهر، المصدر السابق، ص244.
(54). محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص51 - 54.

أيضاً من بساطة مجتمع البادية، وخبرة البدو في برقة بالصحراء، وطرقها في نشر دعوة الإصلاح فساهمت قبائل برقة وخصوصاً تلك التي تقطن واحات الجنوب كالزوية، والتبو في نشر الإسلام بين وثنيي أفريقيا، وتأسيس الزوايا السنوسية في العديد من البلدان الأفريقية.

- **قائمة المصادر والمراجع:**

أولاً: المخطوطات:

- أحمد الشريف السنوسي، محمد بن علي السنوسي من المهد إلى اللحد، ج1، مخطوط.

ثانياً: الكتب العربية والمعربة:

- أحمد الشريف السنوسي، الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السنوسية، ط1 (د . ن) إسطنبول، 1339هـ.
- أحمد بك النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب (د ـ م) 1961م.
- أحمد صدقي الدجاني، الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، ط1، دار لبنان للطباعة، بيروت، 1967م.
- إسماعيل العربي، معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، دار الأفاق الجديدة، المغرب، 1993م.
- ايفانز بريتشارد، السنوسيون في برقة، ت:ـ عمر الديراوي أبو حجلة، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1948م.
- جمال حمدان، الجمهورية العربية الليبية دراسة في الجغرافية السياسية، مطابع الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1973م.
- صادق مؤيد العظم، رحلة في الصحراء الكبرى بإفريقيا، ت: عبد الكريم أبو شويرب، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، 1998م.
- عبد الجليل الطاهر، المجتمع الليبي دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1969م.
- علي سلطان، تاريخ العرب الحديث 1516– 1918م، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، ليبيا، 1990م.
- علي محمد الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في إفريقية، ط2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2006م.
- علي محمد محمد الصلابي، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، ج1، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، 2005م.
- فيليب رفلة، الجغرافية السياسية لإفريقية، (د . ن) القاهرة، 1965م.
- لوثروب استودارد، حاضر العالم الإسلامي، ت. عجاج نويهض، ج1، 2، دار الفكر بيروت، 1971م.

- محمد الطيب بن أحمد إدريس الأشهب، برقة العربية أمس واليوم، مطبعة الهوا ري، القاهرة، 1947م.
- محمد عزة دروزه، نشأة الحركة العربية الحديثة، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1971م.
- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، ط1، مركز الدراسات الليبية، أكسفورد، بريطانيا، 2005م.
- ن . أ . بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ت- عماد حاتم، ط2، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2001م.
- نقولا زيادة، برقة الدولة العربية الثامنة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1950م.

ثالثاً: الكتب الأجنبية:

- C. Ballbo; Le Speranze d ltalia Turino 1920. p. 139, W. Askew;. Europe and Italy s Acquisition of Libya 1911 - 1912 Duke University press 1942.

رابعاً: الرسائل العلمية:

- وليد شعيب أدم، تجارة الرقيق عبر صحراء إيالة طرابلس الغرب خلال القرن التاسع عشر، (رسالة دكتوراه غير منشورة) قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، 2012م.